الروحي والثقافي في فكر الأمير عبد القادر الجزائري

أ. مقدم رشيد
جامعة الجلفة

تاريخ الإرسال: 2018/12/25 تاريخ القبول:2019/4/24
تاريخ النشر:2019/06/30

ملخص:
اهتم الكثير من الباحثين والدارسين بتاريخ الأمير عبد القادر ومقاومته للاستعمار الفرنسي، لكن في دراساتهم العديدة ركزوا بالخصوص على الجانبين العسكري والسياسي لهذه المقاومة، حيث أن الأمير "المحارب" أخفى الأمير "العارف"، و"العالم"، و"المدرس" ... إن هذا التوجه في الدراسات التاريخية حجب عنا مساحات كبيرة من تاريخ الأمير الذي بقدر ما كان عسكريا وسياسيا محنكا كان رجل فكر وعلم، عميق المعرفة في علوم الدين والدنيا، وله آراء في مختلف قضايا عصره الفكرية والمعرفية.
لهذا فليس من الغريب أن يفتح جبهات متعددة في مقاومته للاستعمار الفرنسي، إذ إلى جانب مقاومته العسكرية والسياسية مارس مقاومة ثقافية روحية وفكرية عكسها اهتمامه بالشأن الثقافي أثناء تنظيمه لدولته، وكل ما يرتبط بذلك من تعليم ومكتسبات، وذلك بغرض تحقيق معالم مشروعه الحضاري التجديدي على أساس أن الأمير كان أحد رموز الحداثة العربية الإسلامية وأحد رجالات النهضة في العالم العربي الإسلامي.
الكلمات المفتاحية: المقاومة، الفكر، الثقافة، العلم، التصوف، التجديد الحضاري.

Abstract:
Many scholars and scholars were interested in the history of Prince Abdelkader and his resistance to French colonialism, but in their many studies they focused mainly on the military and political aspects of this resistance. The prince "the warrior" concealed the prince "the arif," "the world" and "the teacher." The orientation in historical studies has obscured vast areas of the Prince's history, which, as far as he was militarily and politically wise, was a man of thought and science, deeply knowledgeable in the sciences of religion and the world, and with opinions on various issues of his intellectual and cognitive age.

It is not surprising that it opens up multiple fronts in its resistance to French colonialism. In addition to its military and political resistance, it has exercised cultural and intellectual resistance, unlike its cultural interest, while organizing its state and all the associated education and acquisitions. He was one of the symbols of Arab-Islamic modernity and one of the pioneers of the Renaissance

in the Arab-Islamic world.
Keywords: resistance, thought, culture, science, mysticism, cultural renewal.

مقدمة:

إنّ تاريخ الأمير عبد القادر تاريخ عظيم ومشرّف، وهذه حقيقة لا يستطيع إنكارها أو التّشكيك فيها إلاّ جاحد ومكابر، فالنّاظر والمتفحّص في تاريخ الأمير عبد القادر يخرج بحقيقة واحدة هي إيمانه بالإنسان وما يمكن أن يقدّمه للإنسانية، إذ يشهد التاريخ للأمير عبد القادر مخاطرته بحياته وموقفه الشّجاع عندما تدخّل سنة 1860 في دمشق ليضع حدًا للصّراعات الطّائفية الّتي وقعت بين المسلمين والمسيحيين، حيث أسهم في إنقاذ حياة الكثير من المسيحيين.

وشكلت الأبعاد الإنسانية "المتعددة" للأمير عبد القادر الجزائري ثمرة الحضارة الاسلامية المتميزة، فجعل من الدين الاسلامي "معاملة وأخلاق" تجسدت في "رحمته بمحيطه سواء من المسلمين أو المسيحين من الاستعمار الفرنسي آنذاك، فقد مدح قيصر روسيا الأمير عبد القادر لعمله الإنساني هذا فقال: "...نحن إسكندر جميع الروسيين، إلى الأمير عبد القادر: اقتضت رغبتنا أن نشهر التفافنا إليكم لشهامتكم وعملكم بما اقتضته الإنسانية، واجتهادكم في إنقاذ ألوف المسحيين من أهالي دمشق الّذين وجدوا في خطر عظيم"

قدَّم الأمير عبد القادر للإنسانية دروسًا في التّسامح والتّعايش السّلمي والأمن والاستقرار واحترام حقوق الإنسان، فهو يعتبر بحقّ رجل الإنسانية جمعاء وشعوب العالم أينما كانت وأينما وجدت، فقد كان سباقا للمجازفة بحياته من أجل الدفاع عن المسيحين بالمشرق العربي، كما أن مسيرته جعلت منه الشخصية البارزة في تقريب حوار الأديان والثقافات على اختلافها "بوسائل سليمة" وحضارية.

ومن هنا أهمية معرفة البعد الروحي والثقافي والانساني في فكره كمنطلق مرجعي لفهم حياته وتاريخه، لأن صورة الأمير العسكري أخفت وسترت صورته كمتصوف ومثقف في كثير من الكتابات التي تناولت مقاومته.

لذلك سنتناول في هذا البحث الموسوم: الروحي والثقافي في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، للتعريف بثقافة وإنجازات هذه الشخصية الحضارية التنويرية.

1 .أهمية البعد الثقافي والروحي في فهم فكر الأمير :

إذا كان بعض علماء الأنثروبولوجيا يعرفون الثقافة بأنها "جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية وغير العقلية وهي توجد في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة"[21]، أو أن الثقافة هي- على حد تعبير ادوارد هيريوت "ما يبقي عندما يتم نسيان كل شيئ"[3]، فإن تكوين الأمير عبد القادر "ومخططات ثقافته التي تلقاها وهو صغير قد أثرت ولعبت دورا واضحا في توجيه سلوكه وهو كبير وهي التي أطرت حياته وبلورت مواقفه كلها. ويجب على الباحث الكشف عن مخططات هذه الثقافة التي تشبع بها الأمير، لأنها مسؤولة بطريق مباشر عن صناعة رؤيته للوجود وللحياة . وشكلت الخلفية، اللاشعورية لكل سلوكاته ومواقفه فيما بعد[4].

ومن هنا أهمية معرفة البعد الانساني والثقافي والروحي كمنطلق مرجعي لفهم حياته وتاريخه، لأن صورة الأمير العسكري أخفت وسترت صورة الأمير المتصوف والمثقف في كثير من الكتابات التي تناولت مقاومته من خلال الفعل الحربي أو السياسي أو الأدبي. والتي انطلقت من قراءات تجزيئية تقطيعيه-وربما- تشويهة لأحداث التاريخ. وأخذت بالجزء وتناست قراءة الحدث التاريخي كاملا في جميع سياقاته.

وإذا كان الفعل السياسي أو العسكري الجهادي للأمير أمكن معرفته و توثيقه لأنه كان ظاهر للعيان وأدركه معاصروه إلا أن الفعل الروحي والثقافي والانساني باطن مخفي يصعب معرفته والاطلاع عليها إلا عند أقرب المقربين أو عند المتخصصين.

ولم يجانب الحقيقة والصواب الباحث "برينو إتيان"[5] المتخصص في الأنتروبولوجيا الدينية حينما قال" أن حياة الأمير عبد القادر وأعماله تدعونا أكثر من أي شيء أخر إلى كتابة تأويلية عنها أكثر منها إلى كتابة سيرة حياة أي أن الآمر يقتضي فهم الكاتب أكثر من فهمه لنفسه وهذا يتطلب صياغة مجددة لمراحل تكون أعماله، وتعود الصعوبة الخاصة لتتبع حياة الأمير عبد القادر إلى احتجاب شخصيته الحقيقية وراء الأسطورة الوطنية الجزائرية، بينما كانت حياته الفعلية كلها نوعا من السر الروحي حتى وهو يمارس دوره في تسيير الشؤون العامة، فهو في صميمه كأنه غائب عن العالم، وهذا ما كان" ماكس فيبير" يدعوه بالنموذج المثالي للبراعة الدينية[6]، أن تكون في صميم الحياة الاجتماعية وأنت خارج عنها.

ويظهر هذا الالتباس بسهولة في المؤلفات التي كتبت عنه باللغة الفرنسية أم باللغة العربية أو بغيرهما مما يمكن من القيام بدراسة مضاعفة عن عبد القادر: دراسته كأمير وقائد ثورة معروف نسبيا، ثم دراسته كإنسان له حياته الخاصة التي يجب أن تفهم وفق مقولات المبدأ الذي وطده الإسلام الصوفي، وساهم عبد القادر نفسه في تطويره وهو مبدأ الباطنية[7].

لذلك إن فهم وتفهم مواقف الأمير السياسية والاجتماعية والعسكرية ينبغي أن يمر حتما عبر فهم الثقافات والعقائد الدينية الصوفية التي أطرت عقل الأمير عبد القادر والتي صنعت تفكيره وتعبيره وتدبيره." وكما هو الأمر دائما مع عبد القادر يجب إجراء قراءة مضاعفة خفية وظاهرة إذ انه في، اللحظة التي يبدو فيها أكثر ما يكون جليا هو أكثر خفاء "[8]

خاصة وأن" تصوف عبد القادر لا يرفض العالم إنما يبغي حياة صامتة ضمنه، قادرة على، وقاية نوع من التخفي الروحي في الوقت ذاته الذي يقوم فيه بدور فعال وكأنه غائب عنه"[9].

ولذلك يقرر أبو القاسم سعد الله " إن الطابع الأسطوري لظهور الأمير قد بدأ منذ نعومة أظافره فقد كانت تظهر عليه علامات خاصة ميزته عن جميع إخوته فجعلت والده يوجه له عناية خاصة ويؤثره على غيره، وظهرت هذه العناية في الثقافة والتوجيه، وكان محي الدين يراقب ابنه عن كثب ويتوسم فيه علامات غامضة ،وروى تشرشل عدة قصص عن علاقة الأب بإبنه سواء في الجزائر أو في بغداد عند ضريح عبد القادر الجيلاني....إن الدارس لحياة الأمير يصادفه الجواب على هذا السؤال: هل كان الأمير رجل دين أو رجل دولة أو كان هما معا؟ وقد أجاب الكثيرون، كل حسب ما تهيأ له.

ولكن الغموض ما يزال يحيط بالموضوع، إن بعضهم يعتبر الأمير في كل تحركاته مدفوعا بعامل ديني قوي وأن الظروف والأحداث فقط هي التي أجبرته على الدخول في المعركة ضد الفرنسيين وأن دوره الحقيقي لم يكن إقامة دولة بل العبادة والتجرد والبعد عن هذا العالم" [10]

2. التاريخ الشخصي: كرونولوجيا محطات حياته الكبرى.

يتفق أغلب المؤرخين [11]على أن ولادة الأمير عبد القادر كانت يوم الجمعة23رجب 1222 هـ، الموافق لشهر ماي 1807 م، أن نسبه إدريسي حسني شريف، تربى الأمير في حجر والده الذي مال إليه ميلا خاصا فتعهد أمر تربيته بنفسه وأحاطه برأفته وحنوه فكان بذلك موضوع اهتمام خاص وعطف مميز[12].

- في الرابعة من عمره التحق عبد القادر بمدرسة والده محي الدين في القيطنة عام 1811م، وعندما بلغ السن الثانية عشر من عمره حفظ القران ودرس الحديث وأصول التشريع وفي الرابعة عشرة من

العمر حصل على تسمية حافظ، وفي هذه السن أرسله والده إلى مدينة وهران التي بقي فيها سنتين من 1821 م -إلى 1823 م، وفي الخامسة عشرة تزوج ابنة عمه لالة خيرة.

- سجن مع والده محي الدين في إقامة جبرية بوهران مدة سنتين من 1823 م إلى 1825 م، وأفرجت الحكومة التركية عن الأمير وعن والده وأذنت لهما بأداء فريضة الحج عام 1825 م.

- غادر محي الدين وولده عبد القادر وهران في 1825 م ووصلا تونس مارين بالمدية وقسنطينة، ثم الإسكندرية والقاهرة.

- وصولهما إلى مكة أديا فريضة الحج ثم قصدا المدينة المنورة لزيارة الحضرة النبوية الشريفة ومنها توجها إلى دمشق بصحبة الركب الشامي، ثم سافرا إلى بغداد ومكثا ثلاثة أشهر فيها ثم عادا إلى دمشق ومنها إلى مكة والمدينة حيث أديا فريضة الحج للمرة الثانية.

- وفي يوم تاريخي مشهود حلا بقريتهما بالقيطنة ونزلا في قبيلة هاشم حاملين لقب الحاج الشريف وكان ذلك في أوائل عام 1827م، بعد غياب طويل دام سنتين .

- وبعد احتلال فرنسا لأرض الجزائر، وفي27 نوفمبر 1832 م، تم تحرر وثيقة مكتوبة لبيعة السيد عبد القادر ابن محي الدين الجزائري أميرا للبلاد بيعة أولى خاصة، و في24افريل1833م، تتم البيعة الثانية العامة للأمير.

- في سبتمبر 1883 م الأمير عبد القادر يعلن الجهاد ويبدأ رسميا حربه ضد فرنس في هذه الفترة فرنسا تحاول إغراء الأمير بالأموال كي يلقي سلاحه ....يصرح الأمير قائلا " وفي هذه المدة عرضت (الدولة) الفرنساوية علي مقدمات كثيرة ووهي ترك السلاح مقابل شروط وزيادة بالواسطة مليونا لأترك السلاح فلم اقبل ذلك Bugeaud على ذلك كان عرض علي الماريشال بيجو منه محافظة على عهدي ودينـي[13].

-في28 فيفري1834م، يحقق أول انتصار دبلوماسي له ،حيث اعترفت فرنسا بسلطة الأمير ودولته وتبرم معاهدة دي ميشال معه، التي تم بموجبها" رفع الحصار عن وهران ومستغانم وأرزيو وسلكت الطرق إليها من الداخلية وتعينت الوكلاء فيها من قبل الأمير" ودولة فرنسا وتم تعيين السفراء بين الدولتين[14].

- في 1 جويلية 1836 م، ينتصر على الجيش الفرنسي في معركة المقطع بقيادة الجنرال تريزيل ويقال الجنرال من منصبه بسبب هزيمته.

- ينظم جيشه ودولته ويوسع سلطنته في بلاد المغرب الأوسط، وينشئ مؤسسة تشريعية يترأسها مجلس الشورى الأعلى الذي يتكون من 11 عضو من الفقهاء ويعين القضاة ،ويؤسس نظارة الخارجية المكلفة بالتمثيل الدبلوماسي والعلاقات الخارجية وينشئ المستشفيات ويعين أطباء وجراحين لتطبيب رعيته ،كما صك النقود العملة، ونظم الخزينة وقام بجبي الضرائب وأمر بصنع الأسلحة والذخيرة [15]

-وفي جوان1838 م، يعقد الأمير عبد القادر معاهدة التافنة مع الجنرال بيجو بعد أن تغيرت موازين القوى، داخليا وإقليميا وأثرت سلبا على مجريات مقاومتة، فلم يعد ينازل الفرنسيين فحسب بل انشغل أيضا بالمتمردين عليه، فتوالت النكسات خاصة بعد أن انتهج الفرنسيون أسلوب الأرض المحروقة.

- الفترة الممتدة من نوفمبر 1839 م إلى ديسمبر 1847 م، كانت حاسمة في تاريخ مقاومة الأمير وكفاحه ، فبعد أن تم نقض معاهدة التافنة أواخر عام 1839 م، ركز الفرنسيون كل قواتهم وجندوها ضده فانتزعوا منه عاصمته معسكر ومعظم مدن الناحية الغربية مثل تلمسان وسعيدة وتكادمت واضطر هذا الاخير أن ينسحب إلى الجنوب بعاصمته المتنقلة التي تدعى الزمالة وفي يوم 16 ماي 1843

ضاعت زمالته هذه في معركة عين طاقين بجبال عمور في غيابه هو وكان ذلك ضربة قاضية له ولقواته وأنصاره.[16]

- في 16 ماي سنة 1843 م، سقطت عاصمة الأمير، وهي من الأحداث التي كان لها وقع سيء على تاريخ مقاومته، بل هي من أخطر الضربات التي وجهت للمقاومة الوطنية آنذاك وأشدها ضررًا يقول عنها ابنه محمد:" وبالجملة فإنها (واقعة سقوط الزمالة) كانت من أعظم الوقائع التي لا تؤدي .. العبارة تفصيلها ولا يدرك اللسان تحصيلها.[17]

- في أواخر عام 1847م انقلبت موازين القوة عند الأمير، حينما تحالف ضده أمير مراكش وحاربه وتعقبه وأصبح الأمير يتحسب من قبائل الريف المتوحشين أكثر من الفرنسيين كما صرح الأمير فيما بعد، كما ساءت ظروف أهله في معسكر. ففكر وشاور واستخار الله في إلقاء السلاح .

- في 15 ديسمبر 1847 م، الأمير يجتمع مع أمه ويشاورها طويلا في مسالة إنهاء المقاومة[18].

-في 1847م، الأمير الجزائري يستسلم، بعدما ضاقت به السبل وأصبح الاستمرار في الكفاح أقرب إلى الانتحار، بعد أن خذله المحيط القريب والبعيد، وبعدما استحصل الأمير على العهد الوثيق والوعد الأكيد من الجنرال لامورسيار Lamoricière، والدوك دو مال ابن ملك فرنسا le duc d'Aumale[19]اللذان تعهدا للأمير في جامع الغزوات بالسماح الأمير يذهب إلى القسطنطينية أو عكا، أو الإسكندرية مقابل إنهاء المقاومة.[20]

ولكن الفرنسيين لم يفوا بوعدهم، فقد سجنوه خمس سنوات في سجون مختلفة بما فيها قصر أمبواز، وبعد أسابيع من تولي نابليون الثالث بعث إليه الأمير برسالة في 23 ديسمبر 1848 م مذكرا له بوعد فرنسا، وسجن الإنجليز لنابليون الأول، وسجنه هو نفسه (نابليون الثالث) بأمر لوي فيليب طالبا الاستجابة لرغبته في الذهاب إلى مصر أو سورية، وقد ذهب إلى استانبول ثم دمشق حيث توفي بها في ماي 1883 م. [21]

3. التاريخ الثقافي والفقهي للأمير:

درس العلم في القيطنة ووهران، وحج إلى بيت الله الحرام، وزار مع والده عواصم الشرق الإسلامي العلمية والدينية والصوفية (وهي مكة والمدينة والقاهرة وبغداد ودمشق)، ولقي العلماء مراكز العلم كالأزهر والحرمين الشريفين والجامع الأموي والزاوية القادرية،ولم يرجع من الشرق إلا بعد أن ملأ وطابه بعلوم الفقه والكلام والحديث والتصوف والأدب والتاريخ [22] .

في الخامسة عشر من عمره رحل إلى مدينة أرزيو للدراسة على قاضيها، الشيخ أحمد بن الطاهر[23] قبل أن يتحول إلى مدينة وهران حيث انتسب إلى مدرسة أحمد بن خوجة[24] التي قضى فيها ما يقرب السنة انكب فيها على توسيع معارفه اللغوية والفقهية [25]، فأخذ النحو وجوهرة البيان والمنطق عن بعض علماء وهران، كالسيد مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقريد.

ويحدد لنا الأمير محمد باشا مصادر ثقافة أبيه الأمير عبد القادر قائلا عنه: أنه أخذ الفقه عن والده (محي الدين) وعن غيره من العلماء ورحل إلى وهران واخذ عن علمائها وكان حافظا لكثير من اللغة العربية والقدر الوافر من صحيح البخاري عن ظهر قلب مجازا فيه عن والده وسمعه من الشيخ المحدث أبي احمد عبد الرحمن الكزبري بدمشق" [(26)] ...ويصفه صديقه المقرب الشيخ عبد الرزاق البيطار بأنه" فارس ميدان اليراع والصفاح، وليث الرماح الخطية والأقلام الفلاح، "وبأنه أيضا" أخذ الفقه عن والده عمدة المحققين إمام الكل في الكل السيد محيي الدين، والفقه وعن غيره من العلماء والسادة القادة الفضلاء، ثم رحل للطلب إلى وهران، فأخذ عن علمائها ذوي الإتقان، وكان يحفظ أكثر البخاري متضلعًا باللغة العربية، وله بذلك وبغيره اليد العلية " [26] حتى أننا نجد الأمير عبد القادر وهو في قمة جهاده ومعاركه يختم قراءة صحيح البخاري أربع مرات [27] .

ونجده وهو في سجن امبـواز" يداوم في تلك المدة على تدريس العلم وإفادة الطلبة من جماعته فقرأ صـغرى السنوسي في علم الكلام ورسالة الإمام محمد بن أبي زيد القيرواني في الفقه على مذهب الإمام مالك وغيرها من المصنفات المفيدة ثم سلك أخوه الكبير محمد سعيد وأخوه السيد مصطفى وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي جادته وأفادوا الطـلبة إفادته واجتمعوا لقراءة صحيح البخاري على نية تفريج كربهم وكتاب الشفا للإمام القاضي عياض" [28] ونجد الأمـير في مدينة بروسة التركية يحاضر" في الجامع القريب من الدار المعروف بجامع العرب ويقرا فيه الدروس فقرانا عليه ألفية ابن مالك بشرح المكودي والسنوسية بشرح المصنف والايساغوجي للفناري ويقرا لنا في الدار الإبريز في مناقب سيدي عبد العـزيز الدباغ " [29]

وفي دمشق حل قضية مدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث النووية التي درس فيها العلماء الكبار أمثال العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام النووي والإمام السبكي والحافظ ابن الصلاح والحـافظ أبي شامـة المقدسي والحافظ المزي وغيرهم من الأئمة الأعلام"، وافتتح التدريس فيها بصحيح البخاري رواية وكان يجلس لا قرائه بعد صلاة الظهر إلى أن يصلي العصر وكان درسه، منورا مفيدا يحضره العلماء والأذكياء من الطلبة "[30].

وأيضا بمدرسة الجقمقية يدرس كتاب الإتقان في علوم القران للإمام السيوطي والعقائد النسقية وصحيح الإمام مسلم[31]. كما أن" هناك من الباحثين من يرى أن الأمير قد دشن عهد الحداثة في الجزائر، فقد ذهب (دنزيغر) إلى أن الأمير قد تتلمذ بوهران على شيخ بارز من أرزيو يدعى محمد بن الطاهر، وهو شيخ كان - في رأي دنزيغر – منفـتحا على عالم البحر الأبيض المتوسط، ومن ثمة ظل يتعامل مع الأوروبيين حتى بعد انطلاق المقاومة ضد الاحتلال مما جعله يتعرض لعقوبة الإعدام." [32]

وتراث الأمير عبد القادر الحداثي حسب ما يقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله" قد تـناوله عدد من الباحثين نذكر منهم: الدكتور وارنييه Dr. Warnier الذي تولى قنصلية فرنسا في مدينة معسكر أثناء هـدنة معاهدة الـتافنة، والباحث أدريان بيربروجير مؤسس مكتبة الجزائر العمومية الذي ترأس الوفد الفرنسي إلى معـسكر الأمير في الونوغة، والمترجم ألاسكندر بلمرA. Palmer الذي رافق الأمير أثناء جولته بباريس بعد إطلاق سراحه من سجن أمبواز...وفي العصر الحاضر يمكن أن نعد من هؤلاء رفائيل دنزيغر مؤلف كتاب عبد الـقادر والجزائريون، وألان كريستـلو في بعض بحوثه، والغريب في هذا الصدد أن ليون روش الذي كان ربما أقرب من هؤلاء جميعا إلى شخص وفكر الأمير لم يتناول – حسب علمنا - قضية الحداثة عند الأمير".

4. التـاريخ الروحي للأمير:

إذا جاز لنا أن نستعير المصطلحات الدينية، فانه يمكـننا القول أن للأمير عبد القـادر جهادين جهاد أصغر عسكري سياسي ظاهر، يعرفه كثير من الناس، وجـهاد أكبر روحي خفي مسـتتر على أغلب الناس [33](34)، ويمكننا تقسيم التاريخ الروحي أو جهاد الأمير الأكبر للأمير عبد الـقادر الجزائري إلى ثـلاث مراحل: مرحلة التعلق ثم مرحلة التخلق ثم مرحلة التحقق.

1.4 مرحلة التعلق:

وهي مرحلة تعـلق فيها بالتصوف والتـعرف على مبادئه ورجاله، وتبدأ هذه المرحلة من بداياته الأولى حيث تربي تربية صوفية في أحضان أسرته التي اشتهرت بصلاحها وشرفها وانـتمائها إلى سلالة الأشراف الأدارسة[34] الحسنين والى الطريقة الصوفية القادرية فأبو الأمير هو السيد محي الدين [35] الذي يصفه حفيده محمد باشا بأنه كان "عاكفا على بيت علوم الشريعة والحقيقة وإشهار الأذكار والطـريقة وألـف في التصوف كتابا جليلا سماه إرشاد المريدين" [36] وبأنه" بلغ من المعارف أقصاها ومن العوارف منتهاها وشدت إليه الرحال من الضواحي والأمصـار لتلقي العلوم وتلقين الأذكار وقد جبل الله النفوس على محبته والقلوب على مودته فما رمقه طـرف إلا وأحب أن يفديه بسواده ولا. نال احد دعوته إلا وظهرت بركتها في نفسه وماله وأولاده "[37].

وجده هو السيد مصطفى بن المختار يصفه محمد باشا بأنه" ناشر الطريقة القادرية بعد أن طوى بساط ذكرها وأحياها بعد أن درست أثارها، وهو كعبة الأولياء ومقتدى العلماء، أخذ الطريقة الصوفية ولبس الخرقة القادرية عن نقيب الأشراف ببغداد سيدي عبد الرحمن بن علي سليل الشيخ عبد القادر الجيلاني وأجازه بالواسطة السيد مرتضى الزبيدي، توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين عند ماء يعرف بعين غزالة وقبره شهير يتبرك بزيارته الكبير والصغير.

وعلى خطى إبائه وأجداده انتسب الأمير عبد القادر إلى التصوف ولبس بدوره الخرقة القادرية من يد نقيب الأشراف الشيخ محمود القادري وأجازه مشافهة وكتابة، كما زار رفقة أبيه محي الدين زاوية وضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني وشيوخ الطريق هناك، كما زار ضريح شيخ الصوفية الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي، واخذ عن الصوفي الكبير خالد النقشبندي السهروردي وكان يكثر التردد إليه وانتفع منه [38] – وكان عمره حينئذ عشون سنة، وبوفاة والد الأمير عبد القادر السيد محيي الدين عام 1833 م انتقلت الخلافة الروحية في الطريقة القادرية والسلوك النقشبندي والمشرب الأكبري إلى الأمير عبد القادر وهو حينذاك زعيم الجهاد وعمره حوالي 27 سنة، ولاشتغاله بتكاليف الإمارة والجهاد قام أخوه محمد السعيد بشؤون الطريقة [39] ، بل حتى الاختيار العسكري والسياسي على شخص الأمير كان ورائه دوافع وتبريرات روحية [40] ينقل الأمير محمد باشا في التحفة أن رجلا صالحا من علماء غريس جاء إلى والد الأمير" فقال له أولياء الله قد اتفقوا على نصب ولدك عبد القادر لنصر دين الله" [41]

وفي خطبة بيعته قال السيد محي الدين للناس" إليكم سلطانكم الذي أشارات إليه نبوات الأولياء والهامات الأتقياء" [42]وفي أحضان هذه الثقافة الروحية الصوفية والعائلية لوالده، ومنظومة " عقد جواهر « إرشاد المريدين » نشأ الأمير وبدأ حياته بمطالعة كتب الصوفية ككتاب المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني" لجد جده المختار المعروف المشهور بابن خدة التي شرحها الإمام اليوسي[43].

ويؤرخ الأمير بنفسه لهذه المرحلة من حياته حين يقول" كنت مغرما بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم –يقصد الصوفية - منذ الصبا غير سالك طريقهم، فكنت في أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم، يقف شعري وتنقبض منها نفسي مع إيماني. بكلامهم على مرادهم لأنني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة" [44]

2.4 مرحلة التخلق:

وهي مرحله تخلق الأمير بأخلاق الصوفية والسير على سيرهم ونهج نهجهم وتبدأ هذه المرحلة من سجنه في سجن تولونToulon وبوPau ، وامبوازAmboise ثم فترة السنوات الأولى من استقراره في دمشق بعد إقامته في بروسة بتركيا، فقد تيقن وقتئذ " إن كل من لم يسلك طريق القوم، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له إخلاص، ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأشدهم هروبًا من الخلق، وإختفاءً، وأكثرهم تدقيقًا وبحثًا عن دسائس النفوس وخفايا العيوب" [45] .

فجعل من سجنه مدرسة لتعليم أصحابه فكانوا يتدارسون كتب الشريعة والتصوف والأدب والتاريخ، وجعل الأمير من سجنه أيضا خلوة للذكر والتفكر والتعبد وأشار الأمير إلى هذه المرحلة في الموقفين الثالث والثمانون والوقف الحادي عشر بعد المائتين من كتابه المواقف، فأشرقت عليه مطالع الفتح النوراني وحصلت له وقائع روحانية ومشاهد ومرائي لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وللخليل إبراهيم عليه السلام، ولما دخل الأمير دمشق وقبل أن يذهب إلى داره أصر الأمير على زيارة والتبرك بمقام الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي.

وبعد أنزله حاكم دمشق عزت باشا في المنزل الذي سكنه وتوفي فيه الشيخ الأكبر قبل ذلك بنحو ستة قرون[46]، وفي دمشق توسعت دوائر علاقات الأمير بشيوخ التصوف[47]، وقيل: إنه أخذ الطريقة المولوية عن الشيخ درويش صبري، ويؤكد أبو القاسم سعد الله أن الأمير" كان يقضي معظم أوقاته في التأليف والقراءة والتأمل الصوفي، حقا إن عبد القادر قد انغمس في أخريات حياته في عالم روحاني بعيد عن الصراع الدنيوي، وأنتج خلال هذه الفترة عمله الكبير المسمى بالمواقف الذي يدل على أصالة تفكيره الصوفي واتجاهه.

الروحي ونحن لا نستغرب أن يكون عبد القادر بن محي الدين المتعلق بالطريقة القادرية القاضي شطرا من حياته في العبادة والزهد في زاوية القيطنة قد أنهى حياته الفكرية والروحية ب وكلما ازداد عكوًفا عليها ازداد بها شغًفا وازدادت العلاقة الروحية بينه وبين الشيخ عمًقا... و" أضاف كتاب كالمواقف[48]، وفي هذه الفترة أتيح له دراسة كتب الشيخ الأكبر التي لم يطلع عليها من قبل، وهي تعد بالمئات " إلى القادرية التي تلقاها عن والده في الجزائر الشاذلية والمولوية والنقشبندية التي تلقاها في المشرق بعد الهجرة ومن شيوخه محمد الفاسي بمكة أثناء أداء فريضة الحج للمرة الثانية سنة 1863 ونتيجة. ذلك كتب قصيدته الصوفية الشهيرة يا مسعود"[49].

3.4 مرحلة التحقق والفتح الكبير:

وهي أخر مرحلة وصل إليها الأمير في سيره الروحي وترقيه العرفاني، خاصة عندما التقي مع الشيخ محمد بن مسعود الفاسي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية الذي قال للأمير حين التقي به أول مرة كما ينقل يوسف النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء[50] " لي عشرون عاما في انتظارك وأعطاه الطريقة الشاذلية، وفتح الله عليه فتوحا عظيما في مدة يسيرة بحيث اجتمع بالنبي صلى الله عليه واله وسلم يقظة ومدح شيخه هذا بقصيدة ذكرها في كتابه المواقف" وسرعان ما قطع الأمير معارج السلوك بإشراف شيخه في الحرمين الشريفين حيث قضى عاما ونصف عام متجردا للذكر والتوجه والعبادة في خلوات انقطع فيها لذكر الله، وخلوته الأولى كانت في غار حراء بجبل النور حيث تلقى عن « تحفة الزائر » رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الوحي لأول مرة.

يقول ابنه محمد في كتابه هذه الوقائع" واختار الشيخ محمد الفاسي المجاور في مكة المكرمة أستاذا له فأخذ عليه الطريق وتلقى شئونها عنه، ولازم الرياضة والخلوة والاجتهاد وعكف على ما في تلك الطريقة الميمونة من الوظائف والأوراد إلى أن رقي معارج الأسرار إلى حضائر القدس ذات الأنوار، ووقعت له كرامات وخوارق وأحرز بقوة سعده أحوالًا سنية وأنفاسا محمدية وما تم له الارتقاء إلا وهو في غار حراء لأنه انقطع فيه أياما عديدة إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى ووقع له الفتح النوراني وانفجرت ينابيع الحكم على لسانه، وفاضت عيون الحقائق بين أرواح جنانه، وانفتح له باب الواردات فاستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحات، فكتب من خلوته إلى حضرة أستاذه يصف بدايته ونهايته ويثني على الله بما أولاه على يده بقوله: أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر....ثم ذكر بقية القصيدة المؤلفة من 111 بيًتا.

وأنه دخل المدينة المنورة في 26 رجب 1280 هـ" ونزل محلا لصيًقا بجدار المسجد، وهو في الأصل بيت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وله خوخة في المسجد، وهي التي قال فيها صلى فانقطع الأمير في ذلك المحل، « كل خوخة في المسجد تسد إلا خوخة أبي بكر » الله عليه واله وسلم المبارك مدة شهرين، فقويت بها معارفه وانكشفت له الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية، ومن طالع مواقفه في الحقائق وقف على ما أشرنا إليه ...واستمر الأمير مدمًنا على أداء وظيفة أوراده في الخلوة

والجلوة لم يلحقه في ذلك فتور، وفي الشهر الأخير من إقامته في المدينة المنورة كان يكثر من زيارة أُحد وقبور الشهداء والصلاة في مسجد قباء ..." [51].

أما تفاصيل يوميات نظام حياة الأمير فيذكرها لنا بتفصيل السيد هنري تشرتشل حين يقول عن الأمير انه" كان ينهض ساعتين قبل الفجر وينغمس في الصلوات والعبادة حتى الشروق، ثم يذهب إلى المسجد، وبعد أن يقضي نصف ساعة في الصلاة العامة يعود إلى منزله فيتناول وجبة سريعة، ثم يدخل مكتبته للدراسة إلى نصف النهار، وعلى صوت الأذان يعود إلى المسجد حيث تكون حلقة درسه قد انتظمت في انتظار وصوله، فيأخذ مكانه ويفتح الكتاب المعين للمناقشة ويقرا بصوت عال، وكان يتوقف باستمرار عند طلب تلك التوضيحات التي تفتح المستودعات المتنوعة والمتراكمة لسنواته المضطربة من دراسته الشاقة ومن التحقيق والبحث، وكان هذا الدرس يستغرق ثلاث ساعات.

وبعد صلاة الظهر يعود عبد القادر إلى منزله يقضى ساعة مع أطفاله، وهم ثمانية متفحصا تقدمهم في دراستهم ثم يتناول الطعام، وعند الغروب يعود إلى المسجد حيث يعطى درسا يستغرق ساعة ونصفا، ثم يذهب للراحة "[(53)] ويقول: "وخلال الإثنى عشر شهرا الثانية لم يغادر حجرته سوى للذهاب إلى الجامع الكبير، فكل وقته قد كرسه للدراسات الدينية والتعبد والصلاة، وكان حماس فكره الديني قد استثير بأشد أنواع إنكار الذات، فلم يسمح لنفسه بسوى أربع ساعات من النوم، ولم يوقف صومه خلال الأربع والعشرين ساعة سوى مرة واحدة، حتى عندئذ فانه كان لا يتناول سوى الخبز والزيتون وكان أنهك هذا التقشف القاسي الطويل قواه حتى ظهر على بدنه الحديدي" [52]، ويشهد هنري تشرتشل أن الأمير عبد القادر " ونجح في تحقيق أعلي المراتب الدينية التي. تعتبر أساسية وجليلة، بعد عمل شاق وإنكار طويل للذات " [53]

كما يذكر السيد جواد المرابط من مصادر عمه السيد يوسف المرابط الذي أخذها بدوره من أبيه عبد الرحمن المرابط الذي كان صديقا للأمير عبد القادر ورفيق صباه، أنه" ذكر لي من زهده أنه كان يدخل الخلوة أربعين يوما في أشرفية صحنايا وأحيانًا يكون قُوتُه في خلوته كسرة من الخبز صغيرة مع قليل من الزيت بقدر ملعقة، وأن عادته أنه كان يتقلل من الطعام ومن الدنيا، يأخذ ما يأخذ للضرورة وبقدر الحاجة، كان يفعل الأمير كل ذلك في حين كان يأكل عشرات الضيوف وعشرات الخدم من مطبخه وهو ما كان يتناول إلا لوًنا واحدا من الطعام... لقد كان الأمير، عظيما في عمله، عظيما في حروبه، عظيما في سلطانه على نفسه، عظيما في زهده، عظيما في روحه، وإنما يدرك عظمة تلك الروح من يعلم كما كان يعلم الأمير أن الثروة والسلطة والجاه ما من شيء من ذلك يهب السعادة، وأن الزهد في ذلك كله هو السعادة"[54].

ويقول في ذلك ابنه محمد: "ودفن مع أستاذه الشيخ الأكبر ... والمرء مع من أحب، وفيه تنبيه على أنهما من طينة واحدة فلهذا كان يقتفي آثاره ويتعهد معاهده، وما زال يغترف من بحر فتوحاته، ويقتس من مشكاة تجلياته ويتحقق بنصوص فصوص حكمه، ويتخلق بحسن أخلاقه وشيمه، حتى حاكاه في القول والفعل وسار على قدمه حذو النعل بالنعل، فشيد أركان الشريعة والطريقة، فهو محيي الدين في الحقيقة... وله في التصوف المقام الشامخ، والباع الطويل والقدم الراسخ ومواقفه الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف"[55] خلال هذه المرحلة الأخيرة مرحلة التحقق والتمكين التي تواصلت معارجها وفتوحاتها حتى وفاته وعمره 78 سنة –كعمر أستاذه في عالم الأرواح الشيخ محيي الدين - انتقلت علاقة الأمير بالشيخ وذكر فيه بعض وقائعه ومشاهده الروحية ،« المواقف » الأكبر من القوة إلى الفعل وعبر عنها في كتابه. لشيخه الأكبر كما في كتاب المواقف .

5. تجليات ثقافة الأمير من خلال مؤلفاته:

1.5في النـــثر:

1.1.5 كتاب" وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب":

وهو "عبارة عن تنظـيمات وقوانين عسـكرية وليس تأليفا بالمعنى الدقيق للكلمة، بالإضافة إلى انه قد ثبت أن الذي صاغه هو كاتب الأمير قدور بن رويلة [56]، أما دوره (الأمير) فيه فهو الأفكار والتوجيهات العامة"[57]، وزمان تـدوين هذه الرسالة هو 15 جمادى الأولى سنة 1255 هـ 27اوت 1839 م. وترجمت هذه الرسالة لأول مرة على يد الترجمان روسيتيRosetty ديسمبر 1843 م وطبعت باعتناء الجنرال "ماريmarrey " بعنوان قوانين من الأمير عبد القادر إلى جيشه النظامي، [58]وهي رسالة في تنظيم الـجيش وترتيبه وضبط قوانينه مما يؤكد حنكة وكفاءة، الأمير العسكرية وقد لخص الأمير محمد هذه الرسالة في كتابه تحفة الزائر [59]

2.1.5 كتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد:

وذكر سبب تأليف الرسالة حين قال نصا في مقـدمة كتابه "فاني في أيام إقامـتنا في أمبواز عند الـدولة الفرنساوية الفخيمة[60] تكلم احد رؤساء الدين المسـيحي في الإسلام وقال أن الغدر وعدم الوفاء فيه غير قبيح ولا منهي عنه فسمعه بعض من له محبة ورغبة في إظهار الحق فجاء إلي وألح في الطلب على أن أضع في هذا الأمر رسالة لتتضمن بيان ما في شرع الإسلام مما يكذب قوله وينبذ سخفه فاعتذرت إليه بالحال التي نحن فيه ثم أعاد الطلب وشدد فيه وذلك حين أفضت رئاسة الجمهورية إلى فرع شجرة عظماء ملوكه البرنس لويس نابليون بونابرت فأجبته معترفا بأنني لا أصـلح أن أكون تلميذا لعلماء الإسلام فضلا أن أكون من جملتهم... "[61]

3.1.5 كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل [62].

ألف هذا الكتاب في بروسة (تركيا) أثناء إقامته بها رسالة "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" وسميت أيضا(رسالة إلى الفرنسيين)، وهو كتاب موجه لأعضاء المجمع الآسيوي بطلب من الجمعية، وذلك بعد أن منحه هذا المجمع العلمي الفرنسي قبل ذلك بقليل العضوية فيه. وكان تاريخ تأليف الرسالة في 14 رمضان 1271 هـ 1855 م، ثم ترجمـها الفرنسي "غوستاف ديغا" إلى لغته في عام 1858 م وهو القنصل الفرنسي بدمشق آنذاك.

يحتوي الكتاب على ثلاثة أبواب (في فضل العلم والعلماء) وبه تعريف العقل وتكملة وتنبيه وخاتمة، و(في إثبات العلم الشرعي) يتحدث فيه عن إثبات النبوة واحتياج كافة العقلاء إلى علوم الأنبياء.. وفصل ثالث في فضل الكتابة [63]، وليس هنالك أحد يوضح لنا سبب كتابة هذه الرسالة أحسن من الأمير عبد القادر الجزائري نفسه حين يصرح في مقدمة كتابه " أما بعد: "....فإنه بلغني أن علماء باريز وفقهم العليم الحكيم العزيز، كتبوا اسمي في دفتر العلماء. ونظموني في سلك العظماء. فاهتززت لذلك فرحًا ثم اغتممت ترحًا، فرحت من حيث ستر الله علي، حتى نظر عباده، بحسن الظن إلي، واهتممت من كون العلماء، استسمنوا ذا ورم ونفخوا في غير ضرم، ثم أشار علي بعض المحبين منهم؛ بإرسال بعض الرسائل إليهم...".

فكتبت هذه العجالة للتشبه بالعلماء الأعلام، ورميت سهمي بين السهام، فتشبهوا إن لم تكونوا منهم ... أن التشبه بالكرام رباح وسميت هذه الرسالة ذكرى العاقل وتنبه الغافل ورتبتها على مقدمة، وثلاثة أبواب وخـاتمة. وفي كل باب: فصل، وتنبيه، وخاتمة. أما المقدمة، ففي الحث على النظر، وذم التقليد.[64].

4.1.5 تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام:

من المؤرخين الذين ترجموا لحياة الأمير ونسبوا التعليقات إليه الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف والبغدادي في كتابه هدية العارفين ومن المؤرخين الذين ترجموا لحياة الأمير وأهملوا. الإشارة إلى هذه التعليقات الزركلي في الأعلام ومحمد رضا كحالة في معجم المؤلفين [65]

5.1.5 كتاب المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف:

وهو الاسم الحقيقي للكتاب الذي ذكره الأمير نفسه في الموقف 360 من كتابه حين يقول " "قيل لي زد في تسمية كتابك المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف" [66] وقد طبع الكتاب بطبعات مختلفة وتسميات أيضا مختلفة.

الطبعة الأولى كانت بمصر سنة 1911 م 1329 ه (بعد وفاة الأمير ب 29 سنة) اعتمادا على مخطوطة الشيخ عبد الرزاق، ثم طبع للمرة الثانية بدمشق عام 1966 م تحت اسم المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد بدار اليقظة العربية بموافقة وإشراف الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر ويقول طابعها أن هذه الطبعة بوبت ورتبت بالاستناد إلى النسخة الأم الأصلية المكتوبة بخط الأمير نفسه وقوبلت على نسخة عالم الشام الكبير جمال الدين القاسمي المحفوظة بدار الكتب الظاهرة ونسخة الشيخ عبد الرزاق البيطار المحلاة هوامشها بتقييدات وملاحظات بخط الأمير المؤلف كما قام بمراجعتها وتصحيحها لجنة من علماء دمشق.

وطبع الكتاب للمرة الثالثة بالجزائر عام 1996 م بالتصوير المباشر من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية وناسخها هو الشيخ محمد الحاني[67] تحت اسم مختصر- المواقف - وطبع للمرة الرابعة في بيروت في دار الكتب العلمية سنة 2004 م، بتحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، تحت اسم المواقف الروحية والفيوضات السبوحية.

2.5في الشعر:

في رأينا ان الكثير من شعر الأمير عبد القادر لا يزال مجهولا، ولا ندري اين يوجد، فيحتمل أن يكون كثيره في خزائن الشام، وقليله متفرق في الجزائر، وفرنسا و تركيا.

أما المعلوم منه فمعظمه جمعه ممدوح حقي، وحققه في الديوان المشهور "أشعار منتخبة" و يليه في الكمية والاهمية تحقيق زكريا صيام، ثم نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، وهو توسع لما نشره ابنه محمد تحت نفس العنوان ويمن اضافة ما جمعه وحققه العربي دحو في ديوان مصدره التحقيقات التي ذكرناها، ولا يحمل الجدي ما عدا بعض التعليقات و الشروحات.

خاتمة:

خلاصة القول مفادها، أن الأمير عبد القادر الجزائري يمثل قيمة ثقافية إنسانية نادرة من بقايا القيم الثقافية الإسلامية السامية ، المقدرة للأخر المختلف، والمحترمة للخصوصيات والمنفتحة على كل الثقافات وكل الديانات والثقافة هي المدخل الرئيسي إلى معالجة الكثير من الأزمات التنموية والحضارية.

وتجربة الأمير وانجازاته في ميدان الثقافة لا تقل أهمية عن انجازاته في الميدانين العسكري والسياسي، إذ أن فتح جبهة مقاومة جديدة على الاستعمار لم تتوقف إلا بمماته، وأسس لتجربة رائدة في ميدان التعليم لمواجهة السياسة الاستعمارية في هذا المجال.

لكن يبقى ميراث الأمير دائما في حاجة إلى إعادة الحفر والقراءة والدراسة بشكل أعمق وتحليل أدق.

لذلك نوصي الباحثين و الدارسين المهتمين بشخصية الأمير عبد القادر أن يولوا اهتماماتهم في البحث والتنقيب عن خصال هذه الشخصية الكبيرة، بعيدا عن النظرة الدونية، وكذا الابتعاد عن الدارسات

العامة والخوض في الدراسات الخاصة العميقة لفهم الفكر الروحي والثقافي الذي ادى الى تكوين وبروز هذه الشخصية في طليعة العلماء الأجلاء.

المصادر و المراجع:

أ-باللغة العربية:

1-اسماعيل بن محمد العجولي، كشف الخفايا ومزيل الالباس، دار احياء التراث العربي، د.ط، بيروت،1351هـ
2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث،ج2، معهد الدراسات العربية،القاهرة1976
3-أبو القاسم سعد الله، هل كان الامير عبد القادر حديث، منشور على موقع جريد الشروق الجزائرية http://www.echoroukonline.com
4-الأمير عبد القادر، المواقف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، ج1،.1996
5-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1،ج7 دار الغرب الإسلامي، بيروت،1998
6-الأمير عبد القادر، المواقف في بعض اشارت القرآن الى الاسرار و المعارف، تحقيق عبد الباقي عبد الفتاح، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر2005
7-برينو ايتيان، عبد القادر الجزائري، ط2،ترجمة المهندس ميشيل خوري، دار الفرابي،الجزائر2001
8-تشرشل شارل هنري، حياة الامير عبد القادر، ترجمه وقدمه ابو القاسم سعد الله، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982
9-جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007
10-عبد الرزاق البيطار حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار،ط1961،1نج2
11-عبد الملك بن عبد القادر علي، مختصر الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، 1386هـ ،ق1966،1
12-عمار طالبي، كتاب رسالة إلى الفرنسيين، ذكر العاقل في تنبه الغافل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2006.
13- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.
14- محمد عبد الجابري، تكوين العقل العربي، ط8، مركز دراسات الوحدة العربية،2002
15- محمد صالح السيد، الامير عبد القادر الجزائري، متصوفا و شاعر المؤسسة الوطنية للكتاب،1985
16-محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج2، الجزائر، 2007
17-محمد صغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد صالح الجون، مذكرات الأمير عبد القادر،تحقيق، ط1، دار الأمة ،الجزائر1998
18-محمد مطيع حافظ، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، تحقيق، نزار أباظة، دار الفكر المعاصر1986
19-محمد بن عبد الكريم ، وشاج الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب ،الجزائر،1968
20-نصر الدين سعيدوني، عصر الامير عبد القادر،ط1،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود،الكويت،2001

21- هاري هويجر، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة محمد الجوهري، دار النهضة،مصر،القاهرة،1976،
22-يحي بو عزيز، ميكيل دو ايبائزا، الجديد في علاقات الامير عبد القادر مع اسبانيا و حكامها العسكريين بمليانة ،ط1 ،دار البعث 1996
23-يحي بو عزيز، اعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة،ط1،ج2،دار الغرب الاسلامي، بيروت ،لبنان، د.ت
24-يوسف النبهاني، جامع كرامات الاولياء، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مركز اهلسنة بركات رضا،ط1،الهند،2001

ب-باللغة الفرنسية:

25-Alex bellemare, Abd-elkader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863-
26-Ahmed bouyerdene, Abd- el-Kader, L'harmonie des contraires, édition du seuil, septembre 2008
27-Claude Lévi-Strauss. Anthropologie structurale, Paris, Plon, 1958 , nombreuses rééd.
Pocket, 1997
28-Michel Chodkiewicz ,L'émir Abd el-Kader, Écrits spirituels, présentation, traduction et notes, Seuil, 1982, réédition 1994.
29-Bruno Latour , Nous n'avons jamais été modernes. Essai d'anthropologie symétrique Paris
,La Découverte «Poche/Sciences humaines et sociales », 2006 (éd. originale, 1991.(

ج-المواقع الالكترونية:

-http://fr.wikipedia.org/wiki/Bruno_Étienne
-http://www.echoroukonline.com

الهوامش:

[1] هاري هويجر، **مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة**، ترجمة محمد الجوهري، دار النهضة،مصر،القاهرة،1976،ص162

[2] محمد عبد الجابري، تكوين العقل العربي،ط8،مركز دراسات الوحدة العربية،2002،ص36

[3] Bruno Étienne est un sociologue et politologue français né en 1937 à La Tronche(Isère) et mort à Aix-en-Provence le 4 mars 20091. Il était spécialiste de l'Algérie, de l'islam et de l'anthropologie du fait religieux. - http://fr.wikipedia.org/wiki/Bruno_Étienne

[4] Max Weber(21 avril 1864-14 juin 1920), sociologue et économiste allemand, l'un des fondateurs de la sociologie moderne.. http://fr.wikipedia.org/wiki/Max_Weber

[5] Un idéal-type est un concept sociologique défini par Max Weber. Il vise, pour Weber, à bâtir un modèle d'un phénomène social qu'on cherche à étudier pour ses qualités intrinsèques. L'idéal-type sera par la suite réutilisé par des théoriciens des organisations pour étalonner des études empiriques consacrées à la bureaucratie.. http://fr.wikipedia.org/wiki/Idéal-type

[6] برينو ايتيان، **عبد القادر الجزائري**، ط2،ترجمة المهندس ميشيل خوري، دار الفرابي،الجزائر2001،ص12

[7] نفس المرجع،ص406

[8] محمد صالح السيد، **الامير عبد القادر الجزائري، متصوفا و شاعرا** المؤسسة الوطنية للكتاب،1985،ص33

[9] محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج2، الجزائر، 2007، ص 26.

[10] نفس المصدر،ص14

[11] الامير محمد باشا ينقل عن ابيه الامير عبد القادر أن سبب عزل الجنرال دي مشال انه بلغ دولته بان مراده الدخول في الاسلام فعزوله حالا وولوا مكانه الجنرال تريزيل، للمزيد انظر، تحفة الزائر الجزء 1،ص134.

[12] يؤرخ ابو حامد العربي المشرقي الذي كان شاهدا لي تلك الفترة و عاصر الامير عبد القادر قائلا" وسل عن تردده الجنرال بيجو و احبار الرهبان، و سل عن ترددهفي الصفوف اودية "سيك، و المقطع" و شعاب الخروف"، وسل نصارى مستغانم، و كم اخذ منهم من اسارى في الغنائم" للمزيد راج الموقع: http://www.djelfa.info

[13] يحي بو عزيز، ميكيل دو ايبائزا، **الجديد في علاقات الامير عبد القادر مع اسبانيا و حكامها العسكريين بمليانة**، ط1، دار البعث.ص14.

[14] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص280

[15] نفس المصدر، ج2، ص14

[16] جواد المرابط، **التصوف والأمير عبد القادر**، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص77

[17] نفسه، ص88

[18] نفس المصدر، ج2، ص14

[19] Christophe Louis Léon Juchault de Lamoricière (ou La Moricière) est un général et homme politique
français né à Saint-Philbert-de-Grand-Lieu (Loire-Atlantique) le 5 février 1806, décédé au château de Prouzel, près d'Amiens le 11 septembre 1865.
http://fr.wikipedia.org/wiki/Christophe_Louis_Léon_Juchault_de_Lamoricière

[20] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق،ج1، ص93. ينقل المؤرخ الفرنسي الاكس بلامار كلام الأمير في هذا المجلس نصا:
»J'aurais voulu faire plus tôt ce que je fais aujourd'hui, j'ai attendu l'heure marquée par soit violée par
Dieu. Le général m'a donné une parole sur laquelle je me suis fié ; je ne crains pas qu'elle le fils d'un
grand roi comme celui des Français. ». Alex bellemare, Abd-elkader sa vie politique et militaire librairie de l hachette et cie, paris, 1863, p317

[21] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الحديث**، ج2، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1976، ص48

[22] أبو القاسم سعد الله،هل كان الامير عبد القادر حديث، منشور على موقع جريد الشروق الجزائرية http://www.echoroukonline.com

[23] احمد بن الطاهر الرزيوي، اصله من مدينة ارزيو تولى القضاء لدى الاتراك في وهران، و درس عليه الامير عبد القادر في صدر شبابه عندما فرض عليهم الباي حسن الاقامة الجبرية، لكن بعد ما تولى الامي عبد القادر الامارة قدمه للمحاكمة وأعدمه في مدينة معسكر بعدما ثبت انه متعاون مع الفرنسيين. لمزيد انظر، يحي بو عزيز، أعلام الفكر الثقافة في الجزائر المحروسة، ط1،ج2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص110.

[24] مدرسة احمد بن خوجة ،اصل صاحب هذه المدرسة من مستغانم، استوطن و هران، و انشأ بها مدرسة الأعيان ونشط في الكتابة حيث كتب" دار الأعيان في أخبار وهران" وتتلمذ عليه الأمير عبد القادر، انظر بوعزيز المرجع السابق، ص210.

[25] نصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر**،ط1 ،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود، الكويت،2001.، ص15

[26] محمد صغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد صالح الجون، مذكرات الأمير عبد القادر، ط1، دار الأمة، الجزائر1998، ص49.

[27] تحفة الزائر، المصدر السابق،ص204

[28] عبد الرزاق البيطار حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار،ط1961،1نج2، ص904

[29] يقول الأمير محمد باش:" وكانت مدة إقامة الحصار عليها تسعة أشهر وختم الأمير عبد القادر في هذه المدة صحيحي البخاري أربع مرات وقد اخبرني ابن خالي السيد محمد بوطالب انه رأى نسخة من البخاري في مجلد واحد عند الشيخ محمد القلي القاضي امير بجاية مكتوب باخرها بخطه ختمنت البخاري بهذه النسخة اربع مرات وانا محاصر تلمسان عجل الله" فتحها، انظر: تحفة الزائر،ج1، ص167.

[30] تحفة الزائر، المصدر السابق، ج2، ص17.

[31] نفس المصدر، ص54.

[32] نفسه، ص78.

[33] عبد الرزاق البيطار حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار،ط1961،1نج3، ص396

[34] أبو القاسم سعد الله، هل كان الأمير عبد القادر حديث، منشور على موقع جريد الشروق الجزائرية http://www.echoroukonline.com

[35] اسماعيل بن محمد العجولي، كشف الخفايا ومزيل الالباس، دار إحياء التراث العربي،د.ط،بيروت،1351هـ، ص425.

[36] فقد اسس دولة الادارسة في المغرب السيد الامام ادريس بن عبد الله حفيد الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة172هـ، و انتهت دولتهم في المغرب العربي عام337هـ بعدما تغلب عليهم المروانيون.

[37] تحفة الزائر، المصدر السابق،ج2، ص302.

[38] نفس المصدر،ص303.

[39] نفس المصدر،2ج، ص204.

[40] وقد توفي بدمشق سنة1278هـ، وخلفه في المشيخة ابنه محمد المرتضي،1245-1316هـ، الذي تزوج بإحدى بنات الأمير عبد القادر وكان شيخ مشايخ الطريقة القادرية توفي في بيروت عام1901م. انظر، محمد مطيع حافظ، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، تحقيق، نزار أباظة، دار الفكر المعاصر1986،ص189

[41] ومن الإشارات الصوفية على خصوصية الامير عبد القادران والد الامير عبد القادر قام بزيارة الامام السنوسي زاويته بجبل ابي قيس ومعه ابنه عبد القادر، فأكرمه بالكسكس، واكل أمير عبد القادر أربعة عشر ملعقة وتوقف، فقال له زيد، فرد عليه الامير لا استطيع، فقال له الامام السنوسي "هذا ما كتبه الله"و لكن الامير لم يعرف الاشارة و لم يلقى لها بالاكما لم يعرف لها معنى. هذا وكانت الإشارة من الإمام هي عدد الأعوام التي سيحكمها الأمير، للمزيد انظر :عبد الملك بن عبد القادر علي، مختصر الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية،1386هـ، ق1966،1، ص17.

[42] تحفة الزائر، المصدر السابق،ج1، ص98.

[43] فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص52

[44] تحفة الزائر، المصدر السابق،ج2، ص302.

[45] الامير عبد القادر، المواقف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،ج1996،1، ص15

[46] نفس المصدر، ص36.

[47] تحفة الزائر، المصدر السابق،ج2، ص66

[48] A son arrivée à Damas, ... Sa vie, il la passe dans les mosquées, dans des conférences avec des
tholbas ou dans des lectures assidues ……A Damas, comme à Toulon, comme à Pau, comme à Amboise, l'emploi de son temps est réglé heure par heure ; il ne quitte ses livres que pour se rendre
à la mosquée au premier chant du moueddîn; il ne quitte la mosquée que pour retourner à ses livres
.Une vie aussi exemplaire devait attirer sur l'émir l'affection et le respect des uns, la jalousie des autres" Alex bellemare, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863,P416.

[49] تشرشل شارل هنري، **حياة الامير عبد القادر**، ترجمه وقدمه أبو القاسم سعد الله،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982، ص28

[50] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1،ج7،دار الغرب الإسلامي،1998بيروت، ص ص116-117

[51] يوسف النبهاني، جامع كرامات الاولياء، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مركز اهلسنة بركات رضا،ط1،الهند-2001 ، ص372.

[52] تحفة الزائر، المصدر السابق،ج2، ص136.

[53] نفس المصدر، ص142

[54] تشرشل شارل هنري، المرجع السابق، ص291.

[55] نفسه، ص.292

[56] نفسه، ص393.

[57] جواد المرابط، المرجع السابق، ص63.

[58] محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، المصدر السابق، ج2، ص267.

[59] معظم من تصدى لكتابة الامير عبد القادر من مؤرخين اوروبيين لاسيما الفرنسيين منهم متقون على ان هذه الرسالة من املاء الامير و ترتيب كاتب الامير قدور بن وريلة راجع كل هذه الاثباتات في كتاب، وشاج الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر،1968

[60] ابو القاسم سعد الله، **حياة الامير عبد القادر**، ص28.

[61] فؤاد صالح السيد، المرجع السابق،ص100

[62] محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، المصدر السابق، ج2، ص121

[63] Emir abdelkader, Le livre d'Abdelkader, Intitulé «Rappel à l'intelligent, avis à l'indifférent,«
Consdirérations philosophiques, religieuses, historiques, etc. Traduit avec l'autorisation de l'auteur
sur le manuscrit original de la Bibliothèque Impériale, par Gustav Dugat, Editions, Paris, 1858

[64] محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، المصدر السابق،ج2، ص63

[65] ابو القاسم سعد الله، **حياة الأمير عبد القادر**، ص24

[66] فؤاد صالح السيد، ا لمرجع السابق، ص101

[67] الامير عبد القادر، **المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**، تحقيق عبد الباقي عبد الفتاح، ط1،دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر2005، ص482